

## الدرس الكوفيدي والتفكير الاتيقي

## مقاربة البيواتيقي الوبائي بالقيمي الإنساني

## The Covid Lesson and Ethical Thinking

## An epidemiological bioethics approach with human values

بن يمينة كرم محمد\*

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة / الجزائر (karimedb@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2021/02/02 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/16 ؛ تاريخ النشر : 2021/05/20

## Abstract

## الملخص

"Covid-19" [Coronavirus] constitutes a didactic [educational] handling in sober discussions, and a dialectical approach [dialectical] in the natural and usual propositions, which requires the evocation of the semiological lesson [the mark] to set concepts and set the files, and to restore the epistemological lesson [rupture] to convey the health phenomenon from Simple logic goes to the field of metodological (methodological) and deontological (professional) thinking, with the aim of discussing the problem of rapid and unethical use of vaccine experiments from laboratory animals to selective human beings to mass manufacturing and distribution to countries, which made the production and experimentation controversy a sensitive, fertile and formidable moral obsession, considering that The vaccine is still in the laboratory use stage ... which is a violation of the ethics of life and health protocols ... and because of the concerns it raises in a healthy person, and its effectiveness in eliminating the virus, as well as preserving the citizen's health.

**Keywords:** The human, values, epidemic, health, life, covid-19, bioethics

يُشكل "الكوفيد-19" Covid-19 [الفيروس التاجي] مناولة ديداكتيكية [تعليمية] في المباحثات الرصينة، ومقاربة دياكتيكية [جدلية] في المطارحات الطبيعية والاعتيادية، تقتضي استحضار الدرس السيميولوجي [العلامة] لضبط المفاهيم وتعيين الملفوظات، والاستعادة الدرس الاستمولوجي [القطيعة] لنقل الظاهرة الصحية من المنطق البسيط إلى مناص التفكير الميتودولوجي [المنهاجي] والديونطولوجي [المهني]، قصد مناقشة إشكالية الاستخدام السريع وغير الأخلاقي لتجارب اللقاح Le vaccin من الحيوان مخبريًا [animale en laboratoire] إلى الإنسان الإنتقائي [Expérimentation humaine] إلى التصنيع بكميات كبيرة وتوزيعها على الدول، مما جعل جدل الإنتاج والتجريب هاجسًا أخلاقيًا حساسًا خصبًا ومهولًا باعتبار أن اللقاح لا يزال في مرحلة الاستخدام المخبري .. والذي يعد خرقًا لأخلاقيات الحياة ولبروتوكولات الصحة.. ولما يثيره من مخاوف لدى الإنسان المعاني، ومدى فعاليته في القضاء على الفيروس، وكذا المحافظة على صحة المواطن.

**كلمات مفتاحية:** الإنسان، القيم، الوباء، الصحة، الحياة، الكوفيد-19، البيواتيقا.

## مقدمة:

تُعد "البيوإتيقا" Bioéthique اشتغالا فلسفيا حياتيا، واشغالا علميا حيويا، وهي مناسبة للربط بين الأخلاقيات التطبيقية Ethique appliquée والفلسفة Dialectique philosophique في مناقشة موضوعات الإنسان المتأزم، وكذا تنشيط ثنائيات: [الحق والحقيقة]، [المراقبة والمعاينة]، [الرعاية والعناية]، [التحسين والتعديل]، ومقاربة المشكلات البيوتكنولوجية Problèmes biotechnologiques بالإشكاليات الفلسفية Problématiques philosophiques التي تهتم بالصحة وما يتعلق بقضاياها القيمية ك: الدواء والعلاج، المرض والموت، الألم والتعافي، التشخيص والإنعاش، التجريب والتلقيح... فمهمة الخطاب البيوإتيقي هي مصاحبة الإنسان في صحته وحياته ومعيشه ويومه، قصد حمايته وتبدير شؤونه وفق متطلبات البيولوجيا [علم الأحياء] في مجابهة ارهاصات التكنولوجيا [علم التقانة]، وهنا تحضر الفلسفة لمقاربة مفاهيم الإتيقا [العدالة، الفضيلة، الثقة...] مع محددات التقنية [الطاقة، التجارب، الوسائط...] من خلال تتبع معابر الأخلاقيات الحياتية L'éthique de la vie .. ومبادئ الديونطولوجيا Déontologie [أخلاقيات المهنة=الواجبات والالتزامات] نحو عوالم السلوكيات الرشيدة والممارسات السليمة، فالتفكير في الحياة اتقييا يستدعي نقد الأخلاق ودحض العلم وتقدير القانون في الوقت ذاته، واقتراح تطبيقات عملية جديدة تقوم على مبدئي المسؤولية [الحيادية] والاستقلالية [الحرية].

يَتَّخِذ "الوباء" L'épidémie دلالات النقشي الهائل والانتساع السريع للحالة الواحدة atteindre [الإصابة] نحو فجوة الجائحة Pandémie [المصيبة] بسبب الانتشار الكبير للعدوى Infection والانتقال الجنوني للفيروس، وزيادات الإصابات وتضاعف أعداد الموتى عبر كافة أنحاء المعمورة .. مما يؤكد خطورة الوضع وصعوبة التحكم فيه، كما يثير جدل الفلسفة والوباء خطابات القهر والقمع والسلطة والهيمنة والإكراه والتضليل .. فيتعرض الإنسان في زمن الأوبئة إلى الكثير من الضغوطات التي تنتجها منصات الرقمة الافتراضية والتواصل الاجتماعي والفضاءات العمومية .. سواء أعلق الأمر بهول الجائحة أو بصدق ومصادقية المعطيات والإحصاءات التي ترافق السياسة الصحية [التمويل، التعقيم، التطعيم، الوقاية...] المتبعة والمتبعة.. وكذا برامج الأمن الصحي [البروتوكولات الطبية] المقترح والمعمول به، مما يزيد من إحساس المواطن بالغربة [العزلة] ويفرض عليه التقيد بالمسؤولية [الالتزام] حيال ذلك، والانصياع لمراحل الشفاء واحترام التدابير الوقائية كالحجر الصحي Confinement والتباعد الجسدي .. في مناقشة الإشكاليات الآتية: هل تقتصر

مهمة الفلسفة على تشخيص الأزمة وفهم الكارثة أم أنها تنتهج مسار العلم في تعيين الحلول وتدبير المخرجات؟ وهل سَعَت البيوتيقا في الأزمة الوبائية الكوفيدية إلى التفكير بالقيم أم ضدها؟ وما هي الدروس التي ترافق الإصابة بالكوفيد حاليًا ومستقبلًا تعبيرًا واعتبارًا؟ وكيف نستعين بالأخلاقيات لترشيد الدرس الكوفيدية؟ وكيف ننقل فلسفيا من التفكير بالإنسان إلى التفكير في الإنسان؟ وكيف تضمن أخلاقيات إدارة الأزمات في زمن الوباء حق الإنسانية في الحياة والصحة والعلاج بكل ديمقراطية وعدالة وإنصاف؟ .

### أولاً= إتيقا الوباء ومصير الإنسان [أنسنة الوباء ومؤانسة الصحة]:

يُصاحب التفكير في "الإنسان" استعادة الوعي بأهمية "الصحة"، وهذا ما توضحه جدلية الساكن والمتحرك، وكذا الثابت والمتغير، وما يؤديه الخلط بين المضامين الطبية والموضوعات الدينية إلى ضياع العلم لفائدة الميثا، كـ «أسطورة مهنة طبية على مستوى الأمة، ومنظمة على نمط الإكليروس، وقد تقلدت، في مستوى الصحة والبدن، قدرات شبيهة بتلك التي يمارسها رجال الدين على الأرواح، وأسطورة اختفاء كلي للمرض ضمن مجتمع خال من الاضطرابات ومن الهموم» (فوكو، 2018، ص 59) ، وتؤكد المعايينات اليومية تقشي ظاهرة الدجل والحل البديل في غياب المرافقة الطبية للأمراض والكوارث، فحين يتأزم الإنسان يصبح عرضة للأهواء والتضليل، ويؤوب مصيره نحو الهلع والهوان، ويضيق به الأمر [التعليل].. رغم اتساع رقعة البحث والتحليل.

يُحدد "المُعدي" فعل الوقاية وسلوك التجنب، وتطبيقات الحذر والتباعد، وآليات التكيف والمواجهة، وترافق فكرة "العدوى" طبيعة الإنسان في راهنه اليومي، وما ألفه في بيته وبيئته، كما تحيل علاقة "المعتاد" بـ "التعدي" إلى الانتباه لخطورة "الانتشار" و"المشاع" و"الانفلات" لكل إرادة غير مفكر فيها، مثل: «التدخين، الأنظمة الغذائية منخفضة الدهون ... نفس الديناميكية تحدث على نطاق على المستوى المحلي، حيث تصبح إحدى الصالات الرياضية مقصدًا شائعًا، أو يصبح مكانًا جيدًا رائجًا، أو يدعم الجميع استفتاءً مدرسيًا جديدًا، هذه جميعها أمثلة على أوبئة إجتماعية، حالات انتشرت فيها المنتجات والأفكار والسلوكيات عبر قطاع من الناس. إنها تبدأ بمجموعة صغيرة من الأفراد أو المنظمات وتنتشر، غالبًا من شخص لآخر، على نحو أشبه بالفيروس» (برجر، 2018، ص 5) فالجديد عرضة للضجة والانتشار والإشاعة مهما كانت سلبياته أو إيجابياته، فيُقدّم الإنسان على الأشياء بنهم أو خوف أو شوق أو قلق أو هلع، قبل أن يتخذ منها موقفًا فهو لا يملك المعلومات الكافية أو الدقيقة حتى يحسن التعامل معها، والأمر نفسه يحصل

أمام "الوباء" [الكورونا-19، السارس، الطاعون، الكوليرا، الحمى، الجذري، ...]، وهذا يؤكد غياب الاستشراف والتفكير السبقي، فحين يعلن عن حالة الوباء بين الناس ... يبدأ القلق والخوف والعزل والتقادي .. ومع مرور الوقت وارتفاع عدد الحالات يزداد الحرص والحذر .. لكن يأتي الوقت الذي يستهجن فيه الفرد هذه الظاهرة رغم خطورتها، لأنه يعتاد عليها .. بل قد يشكك في وجودها رغم تزايد أعداد المصابين، وقد ورث الإنسان هذه الاستراتيجية من خلال فلسفة الاستهلاك [التفكير السائل] الذي نشأ فيه وتربى عليها وقبل بها.

يُدرج الحديث عن "الوباء" عبر التاريخ الإنساني في أفهوم "الكارثة" [الطاعون، المجاعة، الجفاف، الحروب، الفيضانات، الزلازل، البراكين، الجرائم، الحرائق، ...] مما يؤثر على حياة الناس ويربك معيشتهم .. ويحرك إشكالات أنطولوجية وبيوايتيكية مثل: المصيبة، والاضطراب، والموت، والمرض، والقلق، والفقر، و ما ينجر عن هذه الآفات والمشكلات من خسائر مادية ونفسية وجسدية وبيئية ، ويتطلب الأمر إيجاد مخارج كفيلة بتحسين الوضع ورفع الأزمة، تعتمد على تدبير الإغاثة والمساعدة والتعاون .. وتجاوز مرحلة الخطر، من خلال وضع استراتيجيات مرنة [وقائية] تحافظ على طبيعة الإنسان، وصارمة [علاجية] تؤدي إلى القضاء على مصادر الوباء.

تزداد صعوبات البحث في "الرعاية الصحية" وفق استراتيجيات إدارة الأزمت [السياسات الصحية] فتصرح ماديلون لوبين فينكل: «بصفتي خبيرة في الوبائيات، تحرص على الاهتمام بسياسات الرعاية الصحية، كثيراً ما صُدمت، أولاً: من مدى الصعوبة التي أتحمّلها للقيام بدراسة تخلو من الانحياز، وثانياً: من مدى سهولة الحصول على نتائج للدراسة وتفسيرها بما يخدم أغراضني، إنّ الحصول على نتائج دراسة صالحة يمكن الاعتماد عليها يتوقف كثيراً على أفراد عينة الدراسة، وعلى تصميمها، وعلى منهجها، ويقال إن ما يأمل عالم تحقيقه بواسطة بحثه [أو بحثها] هو توفير شعور أعظم بوضوح القضية على أساس البيانات، ما يرغب العماء في تجنبه هو ليّ عنق النتائج حتى تخدم موقفاً سياسياً ما، يجب أن تكون البيانات واضحة ومؤسسة على فرضية موضوعية (أي غير سياسية)» (فينكل، 2015، ص9) فعلاقة الصحي بالسياسي لا يزال محل جدل كبير نظراً لما يترتب عنه من ضرورة توافر أخلاقيات الثقة بين العالم والسياسي من جهة، وبين المواطن العادي ومصدر المعلومات من جهة أخرى، فالأمر أقرب إلى صراع بيانات، ومعلومات وإحصاءات [حرب الأرقام].. فيتربت عن عملية حساب عدد الموتى ومقاربتها بعدد المصابين تفسيرات باهتة، وتأويلات راجفة، وحين تبدأ مرحلة القراءة [التفسير، التحليل، النقاش ...] يشتد الخلاف بين الأطراف، «بالطبع، هناك اختلافات مشروعة في الرأي في العديد من القضايا، بغض النظر عن

نتائج الدراسة، وعلى الأخص، تلك الدراسات التي تنصب على القضايا الاجتماعية والأخلاقية، يستطيع المرء في مثل هذه القضايا أن يتوقع مشاهدة اختلافات مشروعة في الرأي، ويتوقع المرء منها أن تثير أكثر المناظرات سخونة (فينكل، 2015، ص 9) إذ يتطلب الأمر فتح النقاش بين مختلف الأنساق، بلا إقصاء ولا تحايل ولا غدر، فالمهم من هذه الحوارية [التداولية] هو إنقاذ الإنسان وتحسين حياته وترقية أحواله.

تُعتبر "الأخلاقيات التطبيقية" *Ethiques appliquées* «مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية المجالية، تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين، لا انطلاقاً من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة، بل اعتماداً على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق، وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقدة والمستعصية» (بوفتاس، ( د/س)، ص 4)، أما "الإتيقا" *Ethique* <sup>(\*)</sup> ف«هي المرجعية المعيارية التي تقف وراء الأخلاق وتقوم بوظيفة توجيهها نحو السلوك السديد، فهي بمثابة "البارومتر" الذي يقيس درجة حرارة الأخلاق، وتشخيصها إن كانت السلوكيات التي تفرزها في الواقع العملي باتولوجية أم صحية» (جيلالي، 2021، ص 13) فتمثل إشكاليات "الإتيقا" الدعامة الفلسفية لمشكلات "الأخلاقيات التطبيقية"، حيث تشرف على توجيه الموضوعات نحو التنظير المفاهيمي والوظيفي لفلسفة الفعل، كما تسهم في إيجاد المعابر الأخلاقية إلى الممارسة العملية [البراكسيس].

يتسم جدل "القيمة" و"التقنية" بالتضاد والترافق في تعيين مدلولات المصلحة والمنفعة والغاية، «فالقيمة ليست هي الغاية، فهي تفوقها بما أنها توجهها أو تحكمها وتدينها، لذلك وجد الوعي الإتيقي العالمي نفسه مضطراً، لمناقشة المسألة البيوإتيقية. بما أن الخلاصة البيوتكنولوجية تصطم كثيراً بالقيم الإنسانية، وتخدش الإنساني في قرارة فطرته السليمة، وهو وبطريقة واعية أو لا واعية يقيم ميزاناً معيارياً، لنتائج التقنية على مادة القيم، على الرغم من فناء مادة القيم في ساحة بينه، بدعوى خلق القيم الجديدة، ونهاية الأخلاق، وموت الواجب، وتسلب الصيغة النسبية للقيم على أفق الإنسانية الراهنة» (بوحناش، 2017، ص، ص 90-91) فتغدو القيمة نقاشاً عالمياً تشارك فيه كل الأطراف بغية الخروج باتفاق إنساني وقانوني [أورغانون صحي وأمني جديد] يحد من خطأ الإنسان وخطره على نفسه وعلى غيره.

ترتبط "الأخلاقيات" بالسلوكات الإنسانية، أي من حيث فلسفة الفعل وتطبيقات السلوك، و «إذا كانت الأخلاقيات وعلم الأخلاق قد طرحا أسئلة على المبادئ التي تنظم السلوك الإنساني، فهما لا ينفيان

التساؤلات عن نتائج الأفعال التي يوصلان إليها. فهل بالإمكان تطبيق القانون الأخلاقي بشكل أعمى من دون الأخذ بعين الاعتبار الارتدادات الناجمة عن الممارسة؟» (دورتيه، 2009، ص 726). فظهور مشكلات جديدة نتيجة التطور في التقنية أو التغير في الحياة اليومية لا يؤثر في طبيعة القيمة، و«هذا ما طرحه كانط بشأن الكذب لأسباب إنسانية أما ماكس فيبر فقد طرح النقاش بشكل مختلف إذ قدّم في التأمل بالعمل السياسي تعارضاً بين علم أخلاق اليقين وأخلاق المسؤولية» (دورتيه، 2009، ص 726) فبين كانط وفيبر يبدو الفعل مناط جدل [ديالكتيك] بين القيمة الأساس [الأخلاق] وبين الممارسات والسلوكات [الفعل] التي تختلف حسب طبيعة الأشياء وليس طبيعة الإنسان.

#### ثانياً= السؤال البيوإتيقي والدرس الكوفيدي [التفكير في الأزمة أخلاقياً]:

يقوم سؤال "البيوإتيقا" على إعادة التفكير في الأشياء [الإنسان الحي] وفق المعطى الأصل [إتيقا الحياة]، بعيداً عن نسقية العلم وعن إيديولوجية الخطاب، ف«ليست "البيوإتيقا" في الحقيقة، لا تخصصاً جديداً، ولا علماً جديداً، ولا حتى فكراً أخلاقياً جديداً، لأن الممارسة والخطاب البيوإتيقين يشكلان نقطة تقاطع بالنسبة لمجموعة من العلوم التقنية، وخاصة منها الطب والبيولوجيا ومختلف تخصصاتهما؛ ومن العلوم الإنسانية، وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس والسياسة والتحليل النفسي، ومن المباحث ليست علومها بالمعنى الدقيق للكلمة، وخاصة منها الأخلاق والقانون والدين والفلسفة» (عمر، 2011، ص، ص 19-20) فالتفكير البيوإتيقي هو محاولة للفهم باستخدام الأنساق المعرفية ومنهج الحجاج ومنطق الحياد، في مباحثة الخير والشر والمفيد والمفسد، والجميل والجليل، وهي اعتبارات اكسيولوجية جادة تلازم التفكير الإتيقي وتدفع به نحو العيش الأفضل والحياة الكريمة والسليمة.

تستدعي جائحة "كورونا-19" مساءلة الواقع [الراهن] بين الكشف [العدوى=الفيروس] والاكتشاف [الإصابة=التشخيص] والاستشراف [الشفاء=اللقاح]، فنحن «اليوم أمام جائحة كورونا (كوفيد19) وفي حالة هذا الفيروس القاتل، مع بداية العقد الثالث للقرن الواحد والعشرين، ما يجعلنا نقف على درس بيوإتيقي يتجدد معه وصل سلم القيم مرة أخرى بنسق العلوم وتحذير البعد الأخلاقي في البحوث والدراسات البيوتكنولوجية خاصة بما يتناسب مع أوليات المرحلة القادمة وكيف يتوجب على البيوإتيقا أن تتعامل معها بحذر وتوق، من دون تفريط في النقائيل ولا إفراط في التشاؤم» (جديدي، 2021، ص 12) فوظيفة البيوإتيقا أن تتبع السياقات التي تنتجها الجائحة بلا تسرع ولا خوف ..

فالتفكير البيوأثيقيا في الأزمة يتطلب الحكمة والتريث .. خاصة فيما يتعلق بالتعاطي مع اللقاح .. وتدابير الحجر الصحي [الكامل، والجزئي]، ومعاقبة المخالفين بالسجن والغرامات المالية، فكل المعطيات تؤكد ضعف التحليلات وقلة المخلاجات.. مع جدل النهايات [الموت] والأزمات [المصير]، خاصة عند ظهور السلالات المتحورة والتي تشكل خطرا أكبر بسبب سرعة الانتشار بين الناس.

تقرض ظروف الجائحة على الإنسان ارتداء القناع الطبي [الكمامة]، والغسل المتكرر لليدين [الماء، الصابون، المطهر، الكحول]، والابتعاد عن المخالطة الجسدية وخاصة من تظهر عليهم الأعراض [الزكام، الأنفلونزا، العطس]، والاستخدام الشخصي للأدوات والثياب والأواني الخاصة وعدم مقاسمتها مع الآخرين، وعدم التهاون أو الخوف عند ظهور الأعراض [السعال، الحمى، صعوبة في التنفس]، بل يتطلب الأمر البحث عن الرعاية الطبية والقيام باختبار الكوفيد-19 (PCR)، وتجنب الأماكن العامة التي يكثر فيها الناس، وأخذ الاحتياطات اللازمة [البروتوكول الصحي] عند الذهاب إلى العمل أو الدراسة .. والالتزام بالحجر الصحي، لكن مع نقشي الجائحة يصبح الإنسان منتما إلى عوالم مغيرة، «هكذا استبدلنا في زمن واقعنا الحقيقي بواقع افتراضي واستخدمنا ما أمكن من الوسائل والفضاءات الافتراضية (تطبيقات الهواتف الذكية والكومبيوتر والفيسبوك وتويتر وانستغرام) لكسر جمود وحصار فرضه علينا فيروس فتحولنا من تقارب إلى تباعد ومن تباعد إلى تقارب ولكن في اتجاهين مختلفين» (جديدي، ما البيوأثيقا؟، 2020، ص 223) وهذا ما دفع بأبحاث كورونا إلى رصد موضوعات المناعة، والتعاون، والتضامن ، وبسبب تأخر اللقاح "الدواء" والترياق والعلاج، حتى البحث العلمي من كتابة وملتقيات حول الوباء أصبح حكرا على المنصات الرقمية والتطبيقات الحوسبية.

كما اقتضت أزمة كورونا-19 فتح ملفات مثل: الشيخوخة [التقاعد الاقتصادي]، والرياضة المنزلية، والعنف السائل، والحرية المقطوعة "هل نفضل الحرية على الصحة؟"، والديمقراطية المنحوتة، وحق التحري بشأن المعلومات، وسلطة المنع، والمراقبة، والخوف، والقهر، والاكتئاب، والملل، وتعليق الدراسة والنشاطات العلمية والثقافية والدينية أو تأجيلها، وما ترتب عنه من اقتراحات تقديم العطلة الوقائية والتقوية والتقويم . والدراسة عن بعد، وغلق المرافق العامة مثل المساجد والمقاهي، ومنع التجمعات والإجتماعات وإحياء الأعراس والحفلات وأعياد الميلاد، وصلاة الجماعة، وتقليص الفضاءات العمومية، ومنع السفر، والتنقل خارج البلاد، فكان الغرض من كل هذه الإجراءات

والتحفظات تقلص الإصابات والحد من العدوى، لكن أمام استمرار الجائحة وتواصل المعاناة أصبح الإنسان يبحث عن منافع للتمرد وللمقاومة بدل تدابير الوقاية والأمان.

أثرت كورونا على الأزمة المالية العالمية [التجارة]، وخاصة ما يتعلق بالتداول المالي والبورصة [الاقتصاد]، وانتشرت فكرة المؤامرة والإشاعة وترويج الأخبار المغلوطة، وظهرت سلوكيات جديدة مثل: وثيقة التسريح [الإذن بالخروج من البيت]، والقبض على المصابين في الطريق، وكيفية التكلم معهم، مما يتطلب الحذر أثناء المعاملة "الفتنة في زمن الفتنة"، وأصبح العالم يلهث وراء أخبار الموت، حتى روما تحولت إلى مدينة للأشباح [كل الطرق لا تؤدي إلى روما]، وتقهقرت مداخل السياحة وعائدات النفط، وكثر الحديث عن آثار وتداعيات الوباء مثل: العقم عند المصابين [الخصوبة]، والفحص الطبي، واعتبر عمال المستشفيات في خطر، وحتى المرضى الآخرين غير المصابين بعدوى الفيروس، وتزايد موت الأطباء بسبب العدوى، فهم الأكثر عرضة للإصابة [الجيش الأبيض]، وظهرت مشكلات جديدة تتعلق بالحق في اللقاح، واختيار من يموت، ومن له الحق في الحياة، وكيفية تقدير الحياة، ومن يبقى في المستشفى؟ ومن يغادر؟ ومن يعالج في البيت؟

تُعيد "الأخلاقيات التطبيقية" في ترتيب النقاشات المصيرية، و«يعود ظهور المسائل الأخلاقية والأخلاقيات في أيامنا، وسط نقاش المجتمعات، إلى عدة عوامل: انحدار وزوال نفوذ السياسي، وانبعاث ما هو إنساني ورهانات الأخلاق الطبية والبيئة ... شهدت الولايات المتحدة في الستينات ظهور "الأخلاق التطبيقية" وهو تعبير يغطي حقولاً ثلاثة: الأخلاق البيولوجية، الأخلاق المهنية، والأخلاق البيئية، وتقوم الأخلاق التطبيقية على تحليل مواقف دقيقة وعينية» (دورتيه، 2009، ص 727) وقام التفكير البيوياتيقي بتتبع الفيروس الكوفيدي في الموضوعات الآتية:

**1/ الأخلاق الحياتية [البيولوجيا]:** تتميز البيوياتيكا بمناقشة علاقة الأخلاقيات بالحياة، ف «الأخلاق البيولوجية ناجمة عن تقدم البيولوجيا، والطب: التولد الاصطناعي، العبقورية الوراثية، الاستنساخ، تجاه هذا التقدم التقني تواجه المجتمعات الإنسانية مواقف غير معروفة، وتشكل لجان الأخلاق البيولوجية مساحة تأمل للعديد من الجماعات الفكرية واليقينية» (دورتيه، 2009، ص 727)، لذلك فإن الفيروس التاجي يعد تمثلاً لمساءلة سلامة الجسم، وصحة الجسد، ومدى أخلقة الفيسيولوجيا في عالم الطب والبيولوجيا.

**2/ الأخلاق البيئية [الإيكولوجيا]:** يؤثر الفيروس على المحيط سلبيًا [التباعد] وإيجابيًا [التطهر]، وكشف مدى تأثير البيئة بالتقنية، ف«أخلاق البيئة فتعرض لآثار التطور التقني والعلمي على المحيط.

وبذلك يلعب علم البيئة مكانة مركزية» (دورتيه، 2009، ص 727)، فحتى وإن تطهرت البيئة من المخلفات النفطية، وهذا ما أكدته الدراسات بخصوص تنقية المحيطات والبحار والوديان والبحريات، تبقى مسؤولية الإنسان محل مساءلة أمام الطبيعة.

**3/ الأخلاق المهنية [الديونولوجيا]:** أدى انتشار فيروس كورونا-19 إلى اضطرابات كبيرة في علاقات العمل، حيث أن «الأخلاق المهنية التي تحاول البحث في ما يتوجب على الممارسات في مختلف دوائر العمل: المسؤوليات، الحقوق، الديونولوجيا المهنية ... كل قطاعات الأخلاق المهنية هذه، وإن كانت تطرح مسائل عامة فهي تقتضي معرفة تقنية معمقة، إنها تشهد على تحصيل المجتمع فعلياً لمسائل أخلاقية» (دورتيه، 2009، ص 727) فظهر العمل عن بعد، واتسعت الخدمات الرقمية، وتغيرت بذلك المفاهيم والممارسات المتعلقة بالأخلاقيات المهنية.

يتخذ جدل "الطبيعة البشرية" مع "الفلسفة التطبيقية" نقاشاً حاداً في التعاطي أخلاقياً مع فيروس كورونا، ف«من المؤكد أن البشرية اليوم تقف على تخوم أزمة حادة في وجودها وتقف على حدود تتأرجح فيها بين معارفها وبين أخلاقها، بين مساءلة فائدة العلوم ومصادقية الإنقاذ، مساءلة تكشف جوهر الإنسانية الضعيف وهشاشة لا حيلة للإنسان بمواجهتها إلا بانتظار مصير محتوم يكون هو من صممه لنفسه في نهاية المطاف، بمعرفة كان يتوقع منها خلاصه وما بنا عليه طموحاته وأحلامه التي طالما استند فيها على المعرفة لتخلصه من قبضة الطبيعة وقبورها ومن كل قوى بشرية وغير بشرية تريد أن ترهن مصيره بعيداً عن إرادته» (جديدي، ما البيوتيقا؟، 2020، ص 218)، وتحضر فكرة "الخلاص" بما تحمله من [تخليص، وخلاصة، وخصوصية، واختصاص، ...]، فأمام جائحة كورونا تشتد المسؤولية ويكبر الطلب على تحديد المتسبب في ظهور الفيروس، ومدى تورط السياسي والاقتصادي والطبيب وحتى المواطن العادي الذي احتضن الفيروس ونقله إلى شخص آخر، فتسبب في مرضه وموته .. وفي انتشار العدوى وتطور الوباء واستفحال الظاهرة.

وإن ثبت أن المتسبب في ظهور الفيروس هو الفعل الإنساني تحت مظلة البحث العلمي [أخلاقيات الأمانة] أو الحرب النيولوجية [أخلاقيات الأمن]، فهل يجيز ذلك التضحية بالبشرية من أجل الحفاظ على صحتها مستقبلاً؟ .. ومهما كانت الوقاية ودرجات الأمن والاحتياط يبقى الخطأ ممكناً والخطر متوقعاً، وهل يحق للسياسي أو الاقتصادي أن يتدخل في مصير الإنسان بدعوى الفائدة والمصلحة؟ فحين يتورط الإنسان في الكارثة، عليه أن يتحمل المسؤولية من جميع النواحي، فلا يبيع لنفسه تجاوز حدود المنطق والعقل .. ولا يستبيح الأرض والعرض تحت مسميات التنمية والتطور .. بل عليه أن يؤسس وعيه على الحياد التام.

كما يُشكل جدل "الاستقرار" [السكون=الاستاتيكا] مع "التغيير" [الحركة=الديناميكا] ميزانا فكريا لأخلقة الحياة، ف«من الصعب تأمين الاستقرار لأي شيء ديناميكي ومنفتح، لقد تبين أن أي نظام يمكن أن يمتلك اثنين فقط من هذه الخصائص الثلاث -منفتح، وسريع، ومستقر، فالنظام المنفتح والسريع، مثل العالم الذي نعيش فيه، لن يكون مستقرًا بطبيعته، فالدولة السريعة والمستقرة تميل إلى أن تكون منغلقة وإذا كان النظام منفتحًا ومستقرًا، فمن المحتمل أن يكون بطيئًا وليس ديناميكيًا» (زكريا، 2021، ص 20) وهي دعوة للاستعداد لأي طارئ [أزمة، كارثة...]. إذ تؤكد من الانتشار السريع لفيروس كورونا أننا لسنا بمنأى عن أية مشكلة أو كارثة، بل وقد يصعب التحكم فيها .. وحتى الخروج منها .. فالأمر يتطلب تضافر الجهود والتعاون والاتفاق بين الجميع.

تؤوب "الجماعة الإنسانية" نحو "القيم الأخلاقية"، ف«من شأن هذا الوباء "أن يساعد في تحفيز حدوث تحول نحن في أمس الحاجة إليه في القيم الأخلاقية الجماعية الإنسانية والأولويات والشعور بالذات والمجتمع، وقد يذكّرنا بمصيرنا المشترك على كوكب صغير مزدحم"، كما يأمل هومر-ديسكون "لن نتصدى لهذا التحدي بشكل فاعل إذا انسحبنا إلى هوياتنا القبلية. ذلك لأن كوفيد-19 هو مشكلة جماعية تتطلب عملاً جماعيًا عالميًا -تمامًا مثل التغيير المناخي"» (ماكنزي، 2020، ص 285) فالانطواء والتوقع حول الذات باسم الخلاص يزيد الأمر ضررا والعدوى حدة، فالمقاومة تكون باشتراك الجميع، في كل مكان وكل مكان، وحتى لا نتأخر أيضا بخصوص موضوعات ذات أهمية مثل: التلوث، والفقر، والمجاعة، والحرب .. وغيرها والتي تشكل أزمات بدورها.

### خاتمة:

يُعيد الدرس الكوفيدي في ترسيخ قواعد القيمة وتطبيقات الفعل، وهي مناسبة ضرورية وفرصة لمراجعة "السياسيات الصحية" المنتهجة قصد اعتماد معايير ناجعة لتدبير الصحة وتقدير أخلاقيات الثقة وتحديد المسؤوليات .. وإعادة النظر في العلاقات بين مختلف الجهات التي تتداخل فيما بينها في تسيير وإدارة الأزمة، والحقيقة أننا لن نقف عند كوفيد-19 لنعتبر الأمر منقضيًا بعد زواله، بل الأكيد أن المستقبل يحمل الكثير من المفاجآت السيئة على جميع الأصعدة، لذا علينا أن نستعد لما هو أخطر وأغرب وأصعب.

نُفرق في الأخلاقيات التطبيقية بين الكارثة والنكبة والنكسة والنوبة والمرض والألم وكل ما من شأنه أن ينقل الإنسان من لحظات المعاناة إلى "الدرس" La leçon والاستفادة والتعلم والتفكير والتأمل، حتى أن المشتغل في الفلسفة عليه أن يتأني في مناقشة موضوعات الأزمة .. نظرًا لتعطل الحقيقة

وغياب المعلومة الكاملة والصحيحة والسليمة، فتعد إشكالية لما بعد كورونا استباقا غير محمود، وغير مفيد، وغير آمن.

يَصعب على "الطبيعة البشرية" أن تكون صادقة وصريحة وشجاعة، فحين يشتد البأس على الإنسان الذي يختار بين "النفس المطمئنة" و"النفس الأمارة بالسوء" و"النفس اللوامة" ويصبح الغضب شقيق اللين في تطهير النفس، والكذب أنيس الصدق في إعلان الإصابة بالفيروس، كما إن مناقشة فلسفة الجائحة ينقلنا إلى تطبيقية "التعافي" وامبريقية "الانعقاد" في غفلة يوتوبيا "زوال الوباء"، فتقدير النجاة والخلاص لا يتأتى إلا بعد مناقشة المخلفات والأعراض والملحقات التي تستمر باستدامة حياة الإنسان.

### قائمة المصادر والمراجع:

- بوحناش، ن. (2017). *البيواتيقا والفلسفة - من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي*. -بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط.1
- بوفتاس عمر. (2011). *البيواتيقا - الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا*. -المغرب: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط.1
- جان فرنسوا دورتيه. (2009). ، معجم العلوم الإنسانية. بيروت: مشروع كلمة للترجمة.
- جديدي، م. (2021). *الأفق البيواتيقي*. الجزائر: دار ميم للنشر، ط.1، ج.1
- جونابرجر. (2018). *مُعدي -السبب وراء تفشي الأشياء*. مكتبة جرير.
- جيلالي، م. أ. (2021). *الإتيقا -نقد المفهوم وتحولاته في العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية*. -العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف، ط.1
- زكريا، ف. (2021). *عشرة دروس لعالم ما بعد الوباء*. ت. إ. كاظم (Éd.). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط.1
- عمر بوفتاس. (( د/س)). *الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم* (المجلد العدد: 115). المغرب: الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، العدد: 115.
- فينكل، م. ل. (2015). *الحقيقة والأكاذيب في قضايا الصحة العامة "ماذا يصيبنا عندما يصطدم العلم بالسياسة"*. ت. أ. الكريم، (Éd.). مصر: المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1
- ماكزني، د. (2020). *كوفيد 19-الوباء الذي ما كان يجب أن يظهر وكيف نتجنب الوباء التالي*. ت. ز. إدريس (Éd.). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط.1

محمد جديدي. (2020). *ما البيوإتيقا؟ الجزائر: منشورات الوطن اليوم*، ط1.  
 ميشيل فوكو. (2018). *ولادة الطب السريري*. (سعود، ترجمة: إياس حسن مراجعة: المولى،  
 المحرر) بيروت، لبنان، ط1: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

### شرح المصطلحات:

\* - علم الأخلاق (Ethique) «تمتلك اللغة الفرنسية عبارتين تستخدمان للدلالة على الشيء نفسه (Ethique من اليونانية Ethos: عادة) و Morale (من اللاتينية Mores: آداب، أخلاق، سلوك)، تعيدنا العباران إلى جملة الأحكام المرتبطة بالخير والشر، من أجل توجيه السلوك البشري، حتى لو لم يكن ذلك ظاهرا في اللغة السائدة فبإمكاننا أن نميز بين التعبيرين»، أنظر: جان فرنسوا دورتييه، *معجم العلوم الإنسانية*، ترجمة: جورج كتورة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص725.